

الإتاحة غير المقيدة لأنماط التواصل الأكاديمي

ما هي الإتاحة غير المقيدة لأنماط التواصل الأكاديمي؟

نعني بمصطلح "الإتاحة غير المقيدة" (Open Access) توفير الأعمال المُحكّمة (peer-reviewed) بدون قيود (مجانياً) على شبكة الإنترنت العامة مما يسمح لأي مستخدم بقراءة النصوص الكاملة للمقالات وتنزيلها ونسخها وتوزيعها وطباعتها والبحث في محتوياتها والإشارة إلى رابطها (link)⁴⁶. وهناك طريقتان لتحقيق ذلك: إما عن طريق الدوريات ذات الإتاحة غير المقيدة أو أرشيف الإيداع المؤسسي وفقاً للموضوعات (institutional subject-based repositories).

والدورية ذات الإتاحة غير المقيدة هي دورية متاحة مجاناً لكل مستخدم شبكة الإنترنت، وهي لا تعتمد على النموذج التجاري التقليدي القائم على دفع الاشتراكات للحصول على عائد في المقابل. بل إنها، عوضاً عن ذلك، تستخدم نماذج تجارية جديدة new business models تتضمن رسوم معالجة المقالات، وفرص التمويل، والإعلانات، أو كل من سبق. وقد طرحت الدوريات المُحكّمة والمتاحة بشكل مفتوح عبر تخصصات عدة مثل علم الأحياء وعلم الأمراض الاستوائية المهمة التي قامت بإصدارها المكتبة العامة للعلوم (Public Library of Science)، في حين تعاون كل من BioMed Central و Bioline International معاً لنشر أكثر من 200 عنوان. وبالإضافة إلى ذلك، فإن عدداً من كبار الناشرين قاموا بتحويل بعض أعمالهم المختارة إلى الإتاحة غير المقيدة، ونذكر منهم: دار نشر جامعة أكسفورد وداري نشر سبرينجر وألسفير (Springer and Elsevier). ويحتوي دليل الدوريات ذات الإتاحة غير المقيدة (DOAJ) على الإنترنت على قائمة متنامية من العناوين تضم أكثر من 2400 عنوان تغطي موضوعات عدة من الزراعة إلى التعدين.

إن أرشيفات الإيداع المؤسسي متاحة للجميع حيث يودع المصنف المنشور من قبل المؤلفين التابعين للجامعة أو المؤسسة محل الإيداع على شبكة الإنترنت. وباستخدام برمجيات ذات قابلية للتبادلية التشغيلية (interoperable) تعرف باسم "مبادرة الأرشيف المفتوح" (Open Archives Initiative (OAI)) (compliant)، يمكن البحث عن المصنفات المودعة والحصول عليها. ومن أمثلة تلك البرمجيات برنامج Fedora و E-Prints و DSpace. ودليل أرشيفات الإيداع المؤسسي ذات الإتاحة غير المقيدة (OpenDOAR) هو دليل أرشيفات الإيداع الأكاديمي ذات الإتاحة غير المقيدة القابلة للبحث.

إن مفهوم الإتاحة غير المقيدة واقتصادياتها يتعرضان لجدل محتدم بين الأكاديميين والباحثين وإداريي الجامعات والمكتبيين والوكالات الممولة والناشرين التجاريين والتعليميين. وعلى أقل تقدير يمكننا القول بأن صورة أنماط التواصل الأكاديمي قد تغيرت إلى الأبد.

ما هي القوة الدافعة وراء الإتاحة غير المقيدة؟

لعقود متتالية أخذت القوة الدافعة وراء الإتاحة غير المقيدة في التزايد. حيث يسعى العلماء والكتاب الأكاديميون وراء تحقيق أكبر صدى لمصنفاتهم. فكلما زاد اقتباس واستغلال إنتاجهم البحثي، كان ذلك أفضل لمستقبلهم المهني ولمؤسساتهم وكذلك لإمكانيات التمويل في المستقبل، مما يعود بالفائدة العامة على العلم والمجتمع. ولقد تغيرت البنية التي يعمل فيها الباحثون بشكل سريع بسبب الانتقال من استخدام المصنفات المطبوعة إلى بيئة المصنفات الإلكترونية. وعلى الرغم من وجود أدوات اتصال جديدة، أصبح الباحثون على دراية متزايدة بالقيود والعوائق الخاصة بإتاحة مصنفاتهم ومصنفات أقرانهم من خلال النظام التقليدي. وتطلب ذلك بشكل خاص من المؤلفين أن يقوموا بنقل حقوق الطبع إلى الناشر، وبذلك يتخلون عن سيطرتهم على توزيع مصنفاتهم، فعلى سبيل المثال، قد يمنع مؤلف ما من وضع مصنفه على موقعه الإلكتروني الشخصي أو من توزيعه في فصله الدراسي على الطلاب.

⁴⁶ Budapest Open Access Initiative (2002) <http://www.soros.org/openaccess/>

ومن ثم أصبح الناتج البحثي متاحاً فقط بشكل كبير لتلك المؤسسات والمكتبات المشتركة في الدوريات المعنية. وبغض النظر عن أنه لا توجد مكتبة في العالم يمكنها الاشتراك في كل الدوريات، فإن الزيادات السنوية لأسعار الدوريات وانخفاض ميزانيات المكتبات قد أدت إلى ما يسمى "بأزمة الدوريات" (serials crisis)، حيث تدرس المكتبات بدقة بيانات استخدام الدوريات وتقوم بإلغاء اشتراكها للعناوين غير الضرورية⁴⁷. وتوضح دراسة حديثة قامت بها المفوضية الأوروبية أنه بين عامي 1975 و 1995 ارتفعت أسعار طباعة الدوريات بنسبة 300 % أعلى من تكلفة التضخم⁴⁸.

إن جل ما تريده الوكالات الممولة للأبحاث ضمان أن الأبحاث التي تقوم بتمويلها سوف يكون لها التأثير الأكبر على الحياة العلمية (ويُقاس ذلك بعدد الاقتباسات من تلك الأبحاث). بيد أن الوكالات الكبرى وجدت أنه أحياناً لا يتسنى لهم الوصول إلى نتائج الأبحاث التي قامت بتمويلها، وذلك لأنها غير مشتركة في الدورية التي نشرت فيها تلك النتائج. وبوجه خاص، أدى الجدل القائم حيال حق الجمهور في الوصول إلى الأبحاث الممولة من المال العام إلى وضع سياسات جديدة للمنتفعين بالتمويل، فعلى سبيل المثال طالبت سياسة الإتاحة غير المقيدة التابعة للمعهد الوطني الأمريكي للصحة (U.S. National Institute of Health's Public Access Policy) لعام 2005 المؤلفين بأن يقوموا بأرشفة self archive لمصنفاتهم، في حين طلب البيان الخاص بمؤسسة ترست ويلكم إزاء دعم الإتاحة غير المقيدة للأبحاث المنشورة (Wellcome Trusts' Position Statement in Support of Open and Unrestricted Access to Published Research) لعام 2005 الأرشفة خلال ستة أشهر من النشر.

وباختصار، لا تتاح مصنفات المؤلفين الأكاديميين لجميع أقرانهم. فلا يمكن للباحثين الوصول إلى كل الأعمال الضرورية لهم، ولا يمكن للمكتبات الوفاء بكل احتياجات مستخدميها من مصادر المعلومات. واستطاعت الحركة العالمية للتغيير، والتي نشأت من عدم الرضا على جميع المستويات، كسب تأييد الأكاديميين ومؤسسات التمويل ذات المكانة المرموقة، وكذلك المشرعين والمكتبيين.

البيانات والمبادرات

كانت مبادرة بودابست للإتاحة غير المقيدة (BOAI) (2002) أول بيان عالمي للمبادئ الخاصة بتأييد الإتاحة غير المقيدة والالتزام بها. ولقد تم إطلاق المبادرة عقب اجتماع نظمه معهد المجتمع المفتوح (Open Society Institute)، لتقوم بتعريف الإتاحة غير المقيدة لأول مرة وحددت الاستراتيجيات والأهداف الخاصة بالإتاحة غير المقيدة لأنماط التواصل الأكاديمي.

وفي عام 2003، نظم كل من معهد هاورد هيبوز الطبي (HHMI) ومؤسسة ماكس بلانك اجتماعات تناولت الإتاحة غير المقيدة من وجهة نظر الممولين. ولقد نتج عن اجتماع معهد هاورد هيبوز الطبي بيان Bethesda الخاص بالإتاحة غير المقيدة، كما صاغ مؤتمر ماكس بلانك إعلان برلين (Berlin Declaration). ولقد قدم كل منهما تعريفات للإتاحة المفتوحة تركز على الدور الذي يلعبه الممولون.

وكانت مؤسسة وليكام ترست (Wellcome Trust) بالمملكة المتحدة أول ممول للأبحاث يقوم بتطبيق الإتاحة غير المقيدة على الأبحاث التي يقوم بدعمها. ولقد أصبحت الحكومات والمشرعون أيضاً مهتمين بكيفية زيادة الإتاحة لأنماط التواصل الأكاديمي الممولة من المال العام. وفي عام 2004، أوصت لجنة العلوم والتكنولوجيا بمجلس العموم البريطاني بأن تقوم جميع مؤسسات التعليم العالي ومراكز الأبحاث الممولة حكومياً في المملكة المتحدة بتأسيس أرشيفات إيداع مؤسسية متاحة على الإنترنت بالمجان، كما طالبت بدعم دوريات الإتاحة غير المقيدة. ولقد ساهم هذا التقرير الهام في تبني خمسة من أصل ثمانية مجالس بحثية في المملكة المتحدة بالزام الإتاحة غير المقيدة. وفي عام 2005 أوصى برلمان أوكرانيا بالزام الإتاحة غير المقيدة للأبحاث الممولة من المال العام، مما تبعه إنشاء الشبكة الوطنية لأرشيفات الإيداع المؤسسي للإتاحة

⁴⁷ <http://www.libraryjournal.com/article/CA516819.html>

⁴⁸ http://ec.europa.eu/research/science-society/page_en.cfm?id=3184

غير المقيدة (National Network of Open Access Repositories) في عشرة معاهد. وفي عام 2006، أوصت دراسة تتناول أسواق النشر العلمي في أوروبا، بتمويل من المفوضية الأوروبية، بأن تقوم وكالات التمويل بتبني سياسة إلزامية لتوفير المطبوعات البحثية الممولة أوروبياً من خلال أرشيفات الإتاحة غير المقيدة. ويهدف التشريع المقترح للإتاحة العامة للأبحاث الفيدرالية (2006) في الولايات المتحدة إلى إلزام الإتاحة غير المقيدة للأبحاث التي قامت بتمويلها أكبر الوكالات التمويلية الحكومية الإحدى عشرة (مثل المراكز الوطنية للصحة ومؤسسة العلوم الوطنية).

الإتاحة غير المقيدة والدول النامية والدول الانتقالية

قالت أكاديمية العلوم بجنوب إفريقيا في تقريرها لعام 2006 إنه خلال الأربعة عشر عاماً الماضية لم تستشهد الدوريات العالمية بأية أبحاث وردت في ثلث الدوريات الصادرة في جنوب إفريقيا. وعلى الرغم من أن جنوب إفريقيا تعتبر من الدول الرائدة في مجال نشر الأبحاث في إفريقيا، إلا أن أقل من عشر الدوريات المعتمدة والبالغ عددها المائتين وخمسة وخمسين دورية تم الاستشهاد بها بشكل كاف لكي تظهر في قواعد البيانات البحثية الدولية الأساسية⁴⁹. ويجب العمل على زيادة ظهور الإنتاج البحثي لجنوب إفريقيا وغيرها من الدول النامية بشكل كبير حتى يمكن دمج الأبحاث الصادرة من الدول النامية في المحتوى المعرفي العالمي، وهو الأمر البالغ الأهمية لحل المشاكل العالمية مثل تغيرات المناخ وانتشار الأمراض المعدية. ولقد ثبت أن المقالات المتاحة بشكل إلكتروني على أساس الإتاحة غير المقيدة قد تم الاستشهاد بها بمعدل 50% أكثر من المقالات غير المتاحة من نفس الدورية⁵⁰.

إعلان الإتاحة غير المقيدة بالسلفادور: أعلن منظور العالم النامي (Developing World Perspective)، الذي تبنته ندوة عالمية في البرازيل في عام 2005، أنه في ذلك الكون الذي أصبح فيه العلم عالمياً، يعد استبعاد البعض من الوصول إلى المعلومات العلمية أمراً غير مقبول. وسوف تزيد الإتاحة غير المقيدة من قدرة العلماء في الدول النامية على الوصول إلى العلوم العالمية والمساهمة فيها، مما يسهل مشاركتهم في الموضوعات ذات الصلة الوثيقة بالدول النامية ويقوي من تغطيتهم لها.

ويعكس نموذج سياسة الإتاحة غير المقيدة الوطنية للدول النامية موضوع دمج المعلومات العلمية للدول النامية في المحتوى العالمي للمعرفة. ولقد تم الاتفاق على ذلك في نوفمبر من عام 2006 في ورشة عمل قام بتنظيمها المعهد الهندي للعلوم والأكاديمية الهندية للعلوم ومؤسسة م. س. سومينياتان للأبحاث، ولقد أبدى المشاركون حسرتهم المشاركون على أن الأبحاث المتميزة التي تقوم بها دول يمثل سكانها أكثر من 80% من عدد تعداد العالم تبقى إلى حد كبير غير مرئية للنتائج الدولي العلمي.

ولقد قامت الدول النامية والانتقالية بالفعل بمبادرات رائدة لتشجيع الإتاحة غير المقيدة، كما لعبت دوراً هاماً في تشكيل سياسات الإتاحة غير المقيدة على مستوى العالم. ولقد أدت مبادرة ممولة من قبل معهد المجتمع المفتوح (OSI) قامت بها منظمة أيفل إلى إقامة عدد من ورش العمل في الصين وليتوانيا وبولندا والصرب وجنوب أفريقيا وأوكرانيا. ولقد تضمنت النتائج تكوين مجموعات عمل للإتاحة المفتوحة وتقديم تعهدات بدعم مؤسسات الأبحاث الوطنية وإعلان توصيات وطنية وتشكيل مؤسسات إيداع للإتاحة غير المقيدة.

المكتبات والإتاحة غير المقيدة

لقد التزمت المكتبات دائماً بضمان تقديم أكبر مستوى من إتاحة المعلومات للجميع ولذلك فهي تعد من أقوى المدافعين عن الإتاحة غير المقيدة. وبوصفها أحد الأطراف المعنية وأكثرها وعياً بتأثير "أزمة الدوريات"، تسعى المكتبات بجدية للبحث عن طرق لرفع العوائق التي تحول دون الإتاحة مثل الترخيص والتكلفة. وأحياناً ما يكون المكتبيون هم جهة التنسيق للإتاحة غير المقيدة في مؤسسات التعليم العالي، وتكون

⁴⁹ <http://www.scidev.net/quickguides/index.cfm?fuseaction=qguideReadItem&type=1&itemid=288&language=1&qguideid=4>

⁵⁰ <http://eprints.ecs.soton.ac.uk/11688/>

المكتبة هي مقر أرشيفات الإيداع المؤسسية. ولقد أصدرت العديد من جمعيات المكتبات حول العالم بيانات لدعم الإتاحة غير المقيدة أو وقعت على الإعلانات الكبرى الخاصة بالإتاحة غير المقيدة.

ويجب على المكتبيين أن يتقوا في الثروة المتزايدة للمواد الأكاديمية ذات الإتاحة غير المقيدة والجودة العالية والمُحكمة والمتاحة للجميع، ولا بد أن يعملوا على إتاحتها لمستخدمي المكتبات.

المراجع

البيانات والتصريحات

إعلان برلين للإتاحة غير المقيدة للمعرفة في مجالي العلوم والانسانيات (2003)
<http://oa.mpg.de/openaccess-berlin/berlindeclaration.html>

بيان بيتسدا Bethesda الخاص بنشر الإتاحة غير المقيدة (2003)
<http://www.earlham.edu/~peters/fos/bethesda.htm>

مبادرة بودابست للإتاحة غير المقيدة (2002)
<http://www.soros.org/openaccess/>

الإفلا، بيان حول الإتاحة غير المقيدة للكتابات الأكاديمية وتوثيق الأبحاث (2003)
<http://www.ifla.org/V/cdoc/open-access04.html>

السياسة الوطنية للإتاحة غير المقيدة بالدول النامية (2006)
<http://scigate.ncsi.iisc.ernet.in/OAworkshop2006/presentations.htm>

موقف مجالس الأبحاث بالمملكة المتحدة بخصوص الإتاحة المحسنة للإنتاج البحثي (2006)
<http://www.rcuk.ac.uk/research/outputs/access/default.htm>

إعلان السلفادور بخصوص الإتاحة غير المقيدة: منظور العالم النامي (2005)
<http://www.icml9.org/meetings/openaccess/public/documents/declaration.htm>

التقارير

دراسة المفوضية الأوروبية للتطور التقني والاقتصادي لأسواق النشر العلمي في أوروبا (2006)
http://www.assaf.co.za/strat_report.html

تقرير عن التوجه الاستراتيجي لنشر البحوث في جنوب إفريقيا (2006)
http://www.assaf.co.za/strat_report.html

المطبوعات العلمية: مجانية للجميع؟ لجنة العلوم والتكنولوجيا بمجلس العموم البريطاني (2004)

<http://www.publications.parliament.uk/pa/cm200304/cmselect/cmsctech/399/39902.htm>

المصادر

دليل دوريات الإتاحة غير المقيدة
<http://www.doaj.org/>

كاتب منظمة أيفل عن حقوق المؤلف والموضوعات المتعلقة بالمكتبات

دليل أرشيفات الإيداع المؤسسي ذات الإتاحة غير المقيدة
<http://www.opendoar.org>

المعلومات الإلكترونية للإتاحة غير المقيدة للمكتبات
<http://www.eifl.net/openaccess/openaccess.html>

الإتاحة غير المقيدة
http://en.wikipedia.org/wiki/Open_access

برنامج المعلومات الخاص بمعهد المجتمع المفتوح (OSI)
<http://www.soros.org/initiatives/information>

ائتلاف النشر الدراسي والمصادر الأكاديمية (Sparc)
<http://www.arl.org/SPARC/>

دليل شربا روميو لسياسات حقوق المؤلف بالنسبة للناسر والإيداع الذاتي
<http://www.sherpa.ac.uk/romeo.php>

مبادرة بودابست للإتاحة غير المقيدة (2002)
<http://www.soros.org/openaccess>